

العلاج النفسي عند العثمانيين و الأوروبيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي (دراسة مقارنة)

أستاذ مشارك - قسم تاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز - المملكة العربية السعودية

د. أماني جعفر الغازي

مستخلص:

تعود الجذور الأولى للاهتمام بالصحة النفسية والوقاية من الأمراض والاضطرابات النفسية وفهم أسبابها الحضارات القديمة فقد قدمت إسهامات كثيرة ومتنوعة في محاولات فهم الأمراض والاضطرابات النفسية، وعالجتها استناداً إلى فهمها لطبيعة الأسباب المؤدية إليها، وحسب ما توفر لديها من أدوات ووسائل، وبغض النظر عن طبيعة تلك الإسهامات والمحاولات، وعن أنها كانت في كثير من الأحيان خاضعة لتفسيرات إما غيبية أو غير متناسبة مع الطبيعة الحقيقية للأمراض، إلا أنه يمكن اعتبارها مؤشراً لاهتمام الإنسان بالجوانب النفسية للصحة منذ القدم، ومحاولة فهم الإنسان في سلوكه وخبرته. أما الاهتمام بالصحة النفسية بالشكل الذي نعرفه ونمارسه في أيامنا هذه فيرجع إلى العصور الإسلامية الأولى التي شهدت بعض أشكال الرعاية النفسية هنا وهناك، وشكّلت هذه المساهمات النواة الأولى للتغيرات اللاحقة فيما بعد، فقد أدرك الأطباء المسلمون أهمية الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية للإنسان، فكانت دور الرعاية النفسية منتشرة في كلٍّ من دمشق وبغداد والأندلس، وكان العلاج بالعمل الزراعي والموسيقى من الأساليب العلاجية الشائعة في هذه الأماكن التي كانت تطلق عليها تسمية البيمارستانات، والتي كانت تهدف إلى إعادة الاستقرار والتوازن للمرضى نفسياً⁽¹⁾. إن اهتمام العثمانيين بالرعاية يشمل جميع مناحي الحياة حتى الأمراض التي تصيب فئة من الناس، فأهتموا بصحة بصفة عامة وبالصحة النفسية بصفة خاصة، حيث أفردت لهم فصول خاصة في كتب الطب العثماني. كذلك براعة الأطباء العثمانيين في علاجهم في الوقت الذي كانت أوروبا تعاملهم كما الحيوانات أو تتخلص من هذه الفئة. وقد تغيرت هذه النظرة في أوروبا وبتأثير من الدولة العثمانية. ولأهمية موضوع العلاج النفسي فقد ركزت الدراسة على العلاج النفسي في الدولة العثمانية في إطار اهتماماتها بصحة العثمانيين وقد أفضت لهم أقسام في البيمارستانات والمستشفيات لعلاجهم وتقويم الأمراض التي يعانون منها. وقد

استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي في ضوء المعلومات المتوفرة عم الموضوع. و اتضح ان العثمانيين كانت نظرتهم اكثر إنسانية نحو المرضى العقليين مما احدث تأثيرا على نظرة أوروبا الغربية اتجاه المرضى العقليين.

الكلمات المفتاحية: الأمراض النفسية ، الأمراض العقلية ، أمراض الإنفصام ، داء السوداء ، الهوس

ABSTRACT

Interest of psychological health, prevention of psychological disorders and its causes could be traced back to old civilizations. Several and various contributions had been provided in a bid to comprehend and treat psychological disorders based on understanding its cause(s) leading to such case, together with available tools and means. Regardless of such attempts and contributions, or interpretations which had been often reliant upon metaphysics or deemed beyond the genuine nature of such disorders, those could be considered as an indicator to the human's interest in psychology from the early beginning. Further, it could be viewed as an attempt to comprehend the human behavior and experience. Nonetheless, interest in psychology in the fashion currently recognized and exercised could be traced back to the early Islamic era, where some certain patterns of psychological care had been detected. Such contributions had represented the core of subsequent changes since Muslim physicians had later recognized the significance of healthcare, social and psychological care for the human beings. As a result, healthcare centers had been prevalent in Damascus, Baghdad and Andalusia. Hence, music and agriculture therapy had been among the common therapeutic techniques therein – called after the Persian word of 'Bimarestans' or Hospitals, which had been mainly concerned with restoration of balance for psychological patients. The Ottomans' interest in parish encompasses all aspects of life, even diseases affecting a group of people, and they were concerned with health in general and

mental health in particular, where special chapters were given to them in ottoman medicine books. Ottoman doctors also mastered their treatment at a time when Europe treated them as animals or eliminated this category. This view has changed in Europe and under the influence of the Ottoman Empire. The study focused on psychotherapy in the Ottoman Empire as part of its concerns for the health of the Ottomans and led them to departments in bimarstans and hospitals to treat them and correct the diseases they suffered from. The study used the inductive approach in the light of the information available on the subject. And it turns out that the Ottomans had a more humane view of mental illness, which influenced western Europe's view of the direction of mental illness.

Keywords: Mental illness- Mental illness- Schizophrenia - Black disease Mania

وضع المرضى النفسيين في أوروبا من خلال الأطباء الفرنسيين :

ويبدو أن الطبيب الفرنسي وأبا الطب النفسي الحديث بينيل (PINEL) ⁽²⁾ قد كان مطلعاً و متأثراً بأساليب الرعاية والعلاج التي كانت متبعة في العالم الإسلامي؛ ففي إحدى كتاباته عام 1435هـ / 1819م أشار إلى أنه في عام 839هـ / 1425م تم في مدينة «ساراجوسا» الإسبانية إنشاء مصحة للأمراض العقلية تحت شعار الصحة للجميع، وكانت هذه المصحة تتبع أسلوب العلاج بواسطة العمل الزراعي، وكانت مثل هذه المصحات منتشرة في أنحاء عديدة الأندلس. ⁽³⁾ وربما قاده تأثره هذا -إلى جانب عوامل أخرى كثيرة- إلى المطالبة بتحرير المرضى نفسياً من قيودهم، وألف كتاباً عن كيفية معاملتهم. وفي واقع الأمر فإن المعاملة السيئة والقاسية التي كان يلقاها المرضى النفسيون في أوروبا في العصور الوسطى، لم يكن يُنظر إليها معاملة قاسية بل كان الأطباء يعتقدون أن ربط المرضى بالسلاسل، وتعريضهم للضرب، وحمامات من الماء البارد والساخن... وغيرها، يشكل أسلوباً فاعلاً في العلاج يساعد هؤلاء المساكين على التخلص من مرضهم. ⁽⁴⁾

غير أن قيمة عمل بينيل لا تحمل أكثر من قيمة تاريخية؛ إذ أن مناداته بتحرير المرضى، وتحرير قسم منهم بالفعل، وتأليفه كتاباً حول معاملتهم، لم تقد بصورة آلية إلى تغيير الوضع، وتبدل النظرة للمرضى النفسيين في فرنسا؛ إذ أن الأمر استمر لفترة طويلة على ما كان عليه، وكلل التغييرات الاجتماعية كان

لا بدّ من أن يرافق هذه الدعوى تغييراً في الرؤية الاجتماعية للمرض وللاضطراب العقلي حتى تؤتي جهود بينيل وغيره ثمارها، وحتى يأتي ذلك الوقت كان لا بدّ من الانتظار طويلاً. وفي بلجيكا ظهر جيزلان (GUISLAN) الذي خفف من قيود المرضى نفسياً في عام 1251هـ / 1835م، وشهدت هولندا والسويد مؤسسات تعتنى بالمرضى عناية إنسانية، أما في إنجلترا فقد قام جون كونولي JUN KUNULY متأثراً بتعاليم بينيل بمعاملة المرضى معاملة إنسانية، وفي روسيا قام كرونسبولسكي (ZAVADSKY KRONOPLSKY) بترجمة كتاب بينيل إلى الروسية⁽⁵⁾

أما في ألمانيا فقد كانت الرعاية الإنسانية تُمارس في مؤسسات قليلة فقط؛ ففي عام 1233هـ / 1817م ظهرت حركة لتحرير المرضى النفسيين، ففي مدينة شيربيتس ALT-SCHERBETZ؛ وهي ضاحية من ضواحي مدينة لايبزغ الألمانية وما زالت تمارس عملها حتى يومنا الراهن، وكانت المصحة توفر شروطاً إنسانية في ذلك الوقت قياساً بما كان سائداً، وبدأت المفاهيم الإنسانية تدخل شيئاً فشيئاً⁽⁶⁾. ومن خلال هذه المحاولات المتفرقة بدأت بوادر الاهتمام والرعاية بالصحة النفسية في الظهور للمضطربين عقلياً، ومعاملتهم معاملة إنسانية وتبدل النظرة إليهم⁽⁷⁾. وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهرت آراء نادت بالاهتمام بالجانحين والمنحرفين والمتأخرين عقلياً، ونادت بإعادة التأهيل للجانحين كما هو الحال في فرنسا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، في العيادة التي أنشأها ويتمر (WITMER) في بنسلفانيا في عام 1314هـ / 1896م، أو في العيادة التي أنشئت لضعاف العقول في بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1327هـ / 1909م، أو في معهد رعاية الأطفال الجانحين الذي أنشئ في ولاية شيكاغو الأمريكية⁽⁸⁾.

ثم تأسست اللجنة القومية للصحة النفسية، والتي اهتمت بنشر الوعي الصحي وتصحيح مفاهيم الناس حول الصحة والاضطراب العقلي⁽⁹⁾. وبعد ذلك بداية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي ظهرت أولى محاولات قياس وتحديد الذكاء، التي بدورها مهدت لقياس الحركة النفسية والتي ساعدت على التحديد الكمي للتخلف والذكاء، وتحديد معايير للصحة والمرضى⁽¹⁰⁾.

تأسست منظمة الصحة العالمية WORLD HEALTH ORGANIZATION والتي يرمز لها اختصاراً WHO ومركزها في لندن، وهدفت إلى التعاون العالمي في المجال الصحي، وتقديم المعونة والدعم والخبرات وتبادلها، ونشر الوعي الصحي⁽¹¹⁾.

ثم ظهر الطبيب العصبي والنفسي النمساوي سيجموند فرويد الذي أعطى التحليل النفسي أهمية ولون ورائحة فدفح حركة الصحة النفسية وفهم الأمراض والاضطرابات النفسية إلى الأمام.⁽¹²⁾ وفي النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تبرز اتجاهات أخرى كالاتجاهات السلوكية؛ التي تؤكد على دور عمليات التعلم في نشأة وتطور الأمراض والاضطرابات النفسية، والاتجاهات الدينامية والإنسانية، والسلوكية المعرفية، وتنوعت المبادئ العلاجية المشتقة من هذه الاتجاهات لدرجة يصعب حصرها.⁽¹³⁾

العلاج النفسي عند العثمانيين :

لقد ضمن التراث الإسلامي -في مجال الطب عامّة والطب النفسي خاصّة- دُرّاً لم يُكشَف عن كثيرٍ منها إلى الآن، وما ظهر منها ينطوي على قيمة كبرى من الناحية العلميّة، وقد أثّرت دراسات ابن سينا والفارابي والغزالي وغيرهم تأثيراً كبيراً في علماء الغرب، خصوصاً في بداية النهضة الغربيّة الحديثة. وقد أسهم العلماء المسلمون إسهامات كثيرة مهمة في الدراسات النفسية، لكنها لم تحظَ من قبلُ باهتمام الباحثين ومؤرّخي الدراسات النفسية، فهم يغفلون عن ذكر إسهامات العلماء المسلمين في الدراسات النفسية، رغم أنه قد تُرجم عديد منها إلى اللغة اللاتينية، وأثّرت تأثيراً كبيراً في آراء المفكرين الأوروبيين أثناء العصور الوسطى حتى بداية عصر النهضة الأوروبية الحديثة. وصف أحد المختصين مرحلة ازدهار الطب النفسي: «لقد كان موقف العرب أكثر إنسانية نحو المرضى العقليين، ممّا أحدث شيئاً من التأثير على نظرة دول أوروبا الغربية تجاه المرضى العقليين، وفي الواقع فإن في المعلومات الموثّقة -حول موقف العرب تجاه المرضى العقليين- قليلة نسبية، لكن على الرغم من ذلك يُعرف كثير من القوى الدينية والأخلاقية والعلمية التي يُفترض أن هذه الاتجاهات قد نشأت عنها، إضافة إلى ذلك فلقد أُسسَ عديد من المستشفيات العقلية في بغداد في القرن الثامن الميلادي، وكذلك في دمشق في القرن التاسع الميلادي، وفي القاهرة في القرن الثالث عشر الميلادي، ولقد وصف الرحالة العائدون إلى أوروبا من بلاد العرب في القرن الثاني عشر الميلادي ذلك العلاج المستنير الذي يتلقاه المرضى النفسيون في تلك المراكز العلاجية، ووصفوا جوّ الاسترخاء في تلك المراكز العلاجية المحاطة بالنوافير الساحرة والحدائق الغنّاء، ووصف كذلك الطرق العلاجية التي تشمل وجبات خاصة وحمامات وأدوية وعطوراً... إلخ».⁽¹⁴⁾

ثم يُضيف: «كانت هناك عيادة خارجية ومدرسة طبية مُلحقة بكل مستشفى، وقد كانت الإمكانيات العلاجية مُتاحة للمرضى الأغنياء والفقراء على

حد سواء، ويبدو أن معظمهم كان يعاني ذهان الهوس والاكتئاب». ويضيف آخر أن القرآن الكريم هو الحافز لهذه الحركة الانبعاثية الحضارية، إذ أحدث تغييراً جذرياً في كل ميادين الحياة الاجتماعية، كما حثّ كثير من آياته البينات على الإحسان للمرضى والسفهاء، وبين كيفية التصرف بأموالهم، وأوصى بإسعافهم والأخذ بأيديهم. وتحت ظلال العقيدة الإسلامية التي حرّرت الفكر استطاع الحكماء والمفكّرون والأطباء العرب أن يطوروا علوم الإغريق وفلسفتهم، وأن يضيفوا إليها كثيراً من الابتكارات، وأن يدخلوا عليها صبغتهم الأخلاقية والتطبيقية والاجتماعية والدينية الخاصة.⁽¹⁵⁾

فالمسلمون لم يكتفوا بما يمكن وصفه بـ«الطب البدوي»، وإنما استغلوا ما ورثوا من كتب أطباء الحضارات السابقة، ليطوروا ويصححوا ويضيفوا لتلك الكتب، وليؤسسوا منظومات صحية قوية، في حواضرهم وكبرى مدنهم، وليبرعوا في مراحل مواجهة المرض، من الوقاية الاستباقية حتى النقاهاة والمتابعة، مروراً بالعلاج.. ولتصبح الصحة العامة ركناً أساسياً من مهام الدولة ومظاهر حضارتها. وقد تداخل مطلب الصحة مع سياسات المسلمين، منذ اختيار مواضع المدن؛ بحيث لا يكون في مواقع هوائها وخم، أو في مائها عكر أو عرضة للرياح الحاملة للأمراض، ثم تخطيطها بحيث تكون شوارعها ودورها حسنة التهوية وسهلة التنظيف، وفرض القوانين الصارمة على أهلها لمكافحة التلوث والقاذورات، وما يتبعهما من تفشّ للأمراض والأوبئة.. وإنشاء المستشفيات وترتيب الوظائف الطبية لرعاية المرضى، وإجراء الأرزاق على أساطين الطب وتشجيعهم على تعليمه لغيرهم.. هذا بينما كانت شعوب أوروبا- باستثناء الأندلس- تعاني التلوث وإهمال الصحة العامة ويسود الجهل ممارستها العلاجية، وتحول الطب إلى شعوذة ودجل، بينما يعاني العلم الحقيقي اضطهاداً باعتباره هرطقة وكفراً..

أمّا عن الدولة العثمانية -محل الدراسة- فقد عيّنت عناية كبيرة بالجانب الطبي، وعملت على أن تكون دور الشفاء في القمة من حيث التنظيم والتسيير، وهذا شيء طبيعي لدولة تخوض الحروب؛ لأنه لا بدّ لها من الاعتناء بمرضاها وجرحاها⁽¹⁶⁾، ونظراً للأهمية الفائقة لعلوم الطب بنى سلاطين الدولة العثمانية العديد من دور الشفاء والمدارس الطبية مثل بيمارستان⁽¹⁷⁾ الفاتح، وبيمارستان القانون، ومدرسة الطب السلিমانيّة، مع العلم أن أول كلية لعلوم الطب بناها العثمانيون تعود إلى أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وأطلقوا عليها اسم «دار الطب» أما من ناحية الإهتمام بالمرضى فلم يقتصر إهتمام العثمانيين بالمرضى بدنياً فقط، بل اهتموا بالمرضى نفسياً

وعقليًا، وبُنيت لهم دور شفاءٍ خاصة لمعالجتهم في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تحرق مرضاها عقليًا وبدنيًا.⁽¹⁸⁾

أنفصلت الأمراض العقلية والنفسية كفرع مستقل، منذ فترة مبكرة في الدولة العثمانية وحتى عام 857هـ/1453م، وقد دقق سينويلى مؤمن جلبي وهو من أوائل الأطباء النفسيين العثمانيين في الأمراض العقلية والنفسية والعصبية وفصلها في 25 باباً في كتابه (ذخيرة المرادية) والذي أهداه إلى السلطان مراد الثاني 825-886هـ/1451-1481م، ثم تطور الأمر في القرون التالية وأنشئت مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية العثمانية الشهيرة أستخدمت عيادات خارجية لإختصاص المدارس الطبية⁽¹⁹⁾.

أما الولايات العربية العثمانية فقد كانت متقدمة في مجال الطب حتى قبل الفتح العثماني؛ فمثلاً في بلاد الشام كان في كل بلدة دار للشفاء وكانت هناك مؤسسات تعليمية تقدم حلقات تدريسية في الطب، وليس في بلاد الشام فحسب بل في كل الولايات العربية العثمانية، ولقد أبدى أحد الأطباء الفرنسيين الذين زاروا دمشق خلال العهد العثماني مدى إعجابه بمهنة الطب في دمشق، وذكر بأن الطبيب لا يتقاضى أجره من المريض حتى يشفى نهائياً، حتى عامة الناس كانوا يعتبرون الطب من العلوم المستحسنة وكانوا يدرسون الطب بطرق مختلفة حتى يتسنى لهم معرفة الأمراض التي يشكون منها ويقومون بمعالجتها.⁽²⁰⁾ وفي الجزائر مثلاً كانت العناية بالعلوم الطبية أكثر من العناية بالعلوم الأخرى وكان الطبيب محل احترام وتبجيل بين الناس⁽²¹⁾، أما القاهرة فكانت تعتبر مركزاً مهماً لتحضير الأدوية، وكانت تصدر الأدوية إلى مختلف الولايات العربية والأوروبية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الولايات العربية بعلوم الطب. وقد حاول العثمانيون إجراء إضافات على طب ابن سينا، وأخذ طب الغرب كذلك في الدخول اعتباراً من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، والذين اهتموا بالطب العملي خاصة، وصرفوا جهدهم في جعل المستشفيات بحالة جيدة، وكان من الطبيعي أن تُولي دولة تخوض الحرب مثلها الأهمية للطب العملي والجراحة. وقد شرح الجراح أماسيالي صابونجي أوغلو شرف الدين في كتابه المُسمّى (جراحية إيلخانية) -الذي أهداه إلى محمد الفاتح عام 870م/ 1465م- فن الجراحة في عصره بصورة ممتازة مع احتوائه على صور ملونة، وعلى غرارهِ حرّر أخي جلبي مؤلفه المهم في المسالك البولية، وفي بداية العصر السابع عشر حرّر شيخ الحرمين شمس الدين أفندي كتابه المُسمّى (تشريح الأبدان)، ويُلاحظ فيه أنه استفاد من كتاب Vasbius المُسمّى De Humani Corporis يُلاحظ أن قسماً من كتب الطب العثمانية

مصورة. وقد شُرحت أعراض الأمراض السريرية وتشخيصها بصورة جيدة جدًا في كتاب (شفاء الأسقام) الذي حرّره حاجي باشا قبل فتح أستانبول، أما في أواخر القرن الخامس عشر الهجري / ظهرت قواميس الحكمة والطب وترجمة المصطلحات الطبية العربية إلى التركية، فأحمد بن محمد درس الطب في أستانبول، وذهب إلى الهند وصار طبيبًا خاصًا لشاه جهان عاد إلى أستانبول وألّف كتابه (قاموس الأطباء)، ثم ظهرت أول بواذر نقل الأعضاء، عام 1034هـ / 1624م يبحث أمير جلبلي الطبيب الخاص لمراد الرابع 1032-1049هـ / 1623-1640م في كتابه (أنموذج في الطب) بأنّه قام بتشريح الجثث ومعرفة كيف يتم نقل الأعضاء، وكتاب عياشلي شعبان (الشفاء في تدبير المولود)؛ أحسن كتاب في عصره عن التوليد والأمراض النسائية، وفي القرن الثالث عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي شرع في ترجمة الكتب الطبية الأوروبية إلى اللغة التركية رأسًا. وقد حافظ العثمانيون على أعلى المستويات العالمية في مداواة الأمراض العقلية والنفسية حتى القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، ولم يُعامل المرضى العقليّون معاملة سيئةً بتاتًا، ويبحث شعوري أفندي في كتابه (مرآة أمزجة) عن مداواة الأمراض النفسية بواسطة الموسيقى، فتعلّمت أوروبا مداواة المرضى العقليّين من الأتراك؛ فقد أسّس الأتراك مستشفيات خاصة للأمراض العقلية قبل الأوروبيين بفترة طويلة جدًا. وحتى في عام 1203هـ / 1788م كتب الدكتور الإنجليزي John Howard أن المستشفيات العقلية العثمانية في حالة انحطاطٍ بالنسبة للسابق، لكنها مع ذلك ما زالت أرقى من مثيلاتها في أوروبا، وقد نُقلت السطور آنفة الذكر عن كتابٍ لأكبر علماء الطب النفسانيّ في العصر الأخير⁽²²⁾. وفي فرنسا عام 1232هـ / 1818م كان المرضى العقليّون في أوروبا لا يُعاملون كمرضى بل يُعاملون معاملةٍ أسوأ من الحيوانات والجنّة، كذلك كان الروم الذين يعيشون في الدولة العثمانية يستهزئون بإدخال الأتراك المجانين في المستشفيات، وينهالون على المجانين من جماعتهم بالضرب المبرح بقصد طرد الشيطان الذي دخل في أجسامهم، ويتركونهم دون طعامٍ وشرابٍ، ولا يُعدم القاتل إن ثبت جنونه ويُودع بالمستشفى كنوع من أنواع التعذيب، كما كانوا يضعونهم في سجون مظلمة وهم مقيدون بالسلاسل في أيديهم وأرجلهم، وتُسمى هذه السجون بـ«برج المجانين» أو «القفس العجيب» وتسلط عليهم أشد أنواع التعذيب مدى الحياة⁽²³⁾، وإن كانوا في الغالب يقومون بحرقهم، وقد استمرت أوروبا في هذا التصرف اللاإنسانيّ حتى القرن الثامن عشر. وكان الأطباء العثمانيّون يتمكنون من التفريق بين أمراض الانقصاص (الشيذوفرنيا)، وداء السوداء (الماليخوليا)، والهوس (الهستيريا)، ويستخدمون أسلوبًا خاصًا

لداواة كلٍّ منها، وقد شَيّد سليمان القانوني داخل كليّة السليمانية مستشفى للمجانين الذكور، بينما شيدت زوجته حرم فاصكي سلطان مستشفى المجانين النساء، وكانت توجد قبلها في استانبول والمدن الأخرى مستشفيات مماثلة لها قد شُيِّدت في السابق؛ أشهرها مستشفى بيازيد في أدرنه⁽²⁴⁾. وقد كتب شيخ السلطان فاتح آق شمس الدين المشهور في كتابه المُسمّى (مادة الحياة) ما يلي بالضبط: كلّ الأمراض -بالنسبة لأنواعها- لها بذور وجذور كما في النبات والحيوان؛ كبذر الحشيش وجذوره لا تُرى بالعين، ويجب ألا ننسى أنّ هذا الكلام قد قيل في عام 1450م؛ أي قبل اكتشاف المجهر، وقبل باستور بأربعة قرون، ولو لم يكن باستور⁽²⁵⁾ يملك مجهرًا لما تمكّن أن يقول أكثر من ذلك. ولقاح الجدري كذلك إكتشاف تركي، وقد تمّ تطعيم الأطفال في إستانبول ضد الجدري عام 1107هـ / 1695م، وفي عام 1134هـ / 1721م شاهدت Lady Montague -عندما كانت سفيرة لإنكلترا في إستانبول- كيفية صنع هذا اللقاح، وأخبرت المعيّنين عند عودتها إلى إنكلترا، وقد هاجمت أوروبا اللقاح التركيّ لمدة طويلة، وفي عام 1178هـ / 1764م وافقت الأكاديمية الطبيّة الفرنسيّة على أنّ هذا اللقاح قد يكون مفيدًا، لكن لويس الخامس عشر أصيب بمرض الجدريّ ورفض اقتراح تلقيحه باللقاح التركيّ حتى مات.

إنّ حدوث مثل هذا الاكتشاف -من قبل الأتراك- قد أوقع أوروبا في مأزق، وتردّد طويل الأمد؛ فقد أعلن الرهبان بأنّ الذي يسمح بإجراء تطعيم له يعتبر خارجًا على الدين، بينما كانت الليدي مونتاغ قد أجرت اللقاح لوالدها في إستانبول، وقد أيد فولتير عام 1173هـ / 1759م فائدة لقاح الجدري التركيّ لكن الأطباء خشوا جانب الكنيسة مدة طويلة، ولم يلقَ فولتير -الذي اشتهر بإلحاده- أذنًا مصغيّة من أحد، وعلى الرغم من أنّ الليدي مونتاغ صرّحت بأنّه لم تحدث واقعة وفاة لأيّ أحدٍ لُقِّح في تركيا فإنّ أحدًا لم يصدّقها. وبدأ قبول وتطبيق الطب الغربيّ مع شاني-زاده محمد عبد الله أفندي الذي كان يجيد عدّة لغات غربيّة وكذا اللغات الشرقيّة، كما نقل المصطلحات الطبيّة الغربيّة من اللاتينيّة إلى اللغة العربيّة.. جديرٌ بالذكر أنّ آلاف الكلمات التي اشتقتها العثمانيّة من جذور الكلمات العربيّة والتي هي من إيجاب العثمانيّين، وقد تقبّلتها الأقطار العربيّة كذلك، وبدأ دور أشعة رونتغن في الطب العثمانيّ عام 1315هـ / 1897م مع الدكتور أسعد فيضي أفندي. وعلى العموم شهدت الدولة العثمانية عدّة أمراضٍ كأيّ دولةٍ وفي أيّ عصرٍ، ولكن ما يميزها هو تفننها في مواجهة الأمراض، ويشهد على ذلك الأوروبيون أنفسهم الذين زاروا الدولة مثل thèvenot de jean الذي زار ستانبول والأناضول الغربيّة، وعبر عن

إعجابه بالحالة الصحية التي التمسها عند الأتراك فقال: «الأتراك... هم أناسٌ أصحاء البدن.... يمرضون قليلاً، يعتنون بمرضاهم في بيوتهم باهتمام بالغ... كثير من الأمراض الموجودة في أوروبا ليست موجودة لديهم مثلاً أحجار الكلى». (26)

المؤسسات الطبية في الدولة العثمانية:

تنوعت وتعددت المؤسسات الصحية بالدولة العثمانية من دور الشفاء (المستشفيات)، ومدارس لتعليم الطب، وكان لكل مؤسسة دورها الخاص، ومن بين دور الشفاء والمدارس الطبية التي أقيمت من عهد السلطان محمد الفاتح إلى عهد السلطان القانوني نذكر:

أولاً: دور الشفاء (البيمارستانات):

أطلق العثمانيون على الأبنية التي تهتم بالشؤون الصحية عدّة أسماء منها: دار الشفاء، دار الصحة، شفاخانه، بيمارستان، بيمارخانه، تيمارخانه، أما مصطلح (خسته خانه) فإن العثمانيين لم يستخدموا هذا المصطلح إلا بعد نهاية الثالث عشر الهجري / القرن الثامن عشر الميلادي، ودور الشفاء هي مؤسسات وقفية مهمتها العناية بصحة الأهالي، وتمارس دور الشفاء العثمانية نفس الوظيفة التي تمارسها المستشفيات اليوم (27)، ومن البيمارستانات التي أقيمت من عهد السلطان محمد الفاتح إلى عهد السلطان سليمان القانوني نذكر:-

1 - دار الشفاء محمد الفاتح:

هو مستشفى بناه السلطان محمد الفاتح في سنة 875هـ / 1470م بإسطنبول ويضم 70 غرفة تعلوها 70 قبة، وهو خاص لمداواة المرضى عقلياً، وفي هذا المستشفى كان الأطباء يستخدمون الموسيقى لمداواة المرضى (28)، كما بنى الفاتح مستشفى آخر لمرضى الجذام بأدرنة في سنة 1451م، وهو خاص بالنساء فقط (29)، كما كان السلطان محمد الفاتح مهتماً كثيراً بالبيمارستانات ودور الشفاء حيث وضع لها نظام في غاية الدقة، فجعل لكل دور طبيباً أو اثنين من أشهر الأطباء، ويساعده في عمله كحال (30) وجراح وصيدي بالإضافة إلى العديد من الخدم، أمّا عن العلاج والأدوية فكان مجاناً، ويستفيد منه جميع الناس على اختلاف أديانهم ومواطنهم. (31)

2 - دار الشفاء بايزيد دار الشفاسي:

وهو المستشفى الذي بناه السلطان بايزيد الثاني في أدرنة سنة 894هـ / 1488م، وكان يعالج عدّة أمراض منها أمراض العيون والأمراض العقلية، فضلاً عن ذلك يعتبر أثراً معمارياً رائعاً وفريداً من نوعه من الناحية الجمالية. (32)

3 - دار شفاء عايشة حفصة سلطان:

وهو المستشفى الذي أقامته عائشة زوجة السلطان سليم الأول ووالدة السلطان سليمان القانوني في مغنيسا سنة 929هـ / 1522م، وعلى الرغم من صغر حجمه إلا أنه ظل يعالج المرضى لفترة طويلة من الزمن، واستمر في خدمتهم حتى نهاية القرن التاسع عشر، وكان هذا البيمارستان مخصص لعلاج المرضى عقلياً، ومع بداية القرن العشرين تم تحويله إلى متحف لا يزال إلى يومنا هذا.

4 - دار الشفاء «مارستان»:

يعتبر من أفضل البيمارستانات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ وذلك نظراً للخدمة التي كان يقدمها، وقد بُني عام 957هـ / 1550م بناه السلطان سليمان القانوني ويقع في الركن الغربي من الكلية السلিমانيّة، ويحتوي على ساحتين ومبنى ضخم فيه ثلاثين غرفة؛ وهو مخصص لعلاج جميع الأمراض، وقد ظلت دار الشفاء «مارستان» قائمة بدورها حتى 1278هـ / 1861م، وكان الطلبة الذين يدرسون في مدرسة الطب السلیمانيّة يتلقون الدروس النظرية في مدرسة الطب أم الدروس العملية والتطبيقية فكانت تتم في هذا البيمارستان.⁽³³⁾

5 - دار الشفا خاصكي:

وهو البيمارستان الذي بنته «خاصكي حرم سلطان» زوجة السلطان القانوني في إسطنبول وعُرف باسمها «دار شفا خاصكي»، وكان يداوي الأمراض النسائية حتى عام 1302هـ / 1884م، وبعد ذلك أصبح مخصصاً لعلاج الأمراض العقلية، والجميل في هذا البيمارستان أنه لا يزال قائماً إلى اليوم وباسم «خاصكي خسته خانه سي» بمعنى مستشفى خاصكي.

6 - دار الشفاء جارية لرخسته خانة سي:

وهو مخصص لعلاج الجوّاري المقيّمات داخل السراي طوب قابي وكان الحكيمباشي هو المشرف عليه.⁽³⁴⁾ ولقد أقام العثمانيون عدّة مستشفيات في الولايات العربيّة العثمانيّة نذكر منها «بيمارستان الخرطين» الذي أقيم بالجزائر من طرف حسن بن خير الدين في عام 957هـ / 1550م، وهو أول مستشفى بُني بالجزائر، وكان مخصصاً لعلاج المرضى والمصابين العسكريين، ويُقال بأنه سُمّي بالخرطين نسبةً إلى خير الدين، كما بنى العثمانيون أيضاً مستشفى آخر عُرف بـ «مستشفى برج الأربعة والعشرون ساعة»، ويسمّى أيضاً ببرج باب الواد في عام 974هـ / 1566م، بالإضافة إلى العديد من الملاجئ التي خُصّصت لمداواة المرضى مثل ملجأ الأمراض العقلية، ويسمّى بملجأ شارع مارستان.⁽³⁵⁾

ثانياً: المدارس الطبية:

مدرسة الأطباء بايزيد الثاني:

يذكر أوليا جلبي بأنه هناك مدرسة طب تتصل بساحة دار الشفاء التي بناها بايزيد الثاني، ويذكر أن اسمها «مدرسة أطباء»، وكان هناك العديد من الطلبة الذين يدرسون بهذه المدرسة، وكانوا مقسمين إلى عدة شعب، وكلّ شعبة تضم عدداً من الطلبة، أما عن البرنامج الدراسي الذي كان يتلقاه طلبة الطب فأوليا جلبي لا يذكر لنا عنه شيئاً سوى أنهم كانوا يدرسون العديد من الكتب التي ألّفت حول الطب من قبل مثل: كتب ابن سينا وأبي بكر الرازي، وتجدر الإشارة إلى ملاحظة مهمة هي أن مدرسة الطب بايزيد الثاني لم يُشر إليها أي مصدر سوى أوليا جلبي، وهذا ما يؤدي إلى الشك حول ما إذا كانت هذه المدرسة موجودة أم لا.⁽³⁶⁾

مدرسة الطب السلিমانيّة:

وتسمى أيضاً بدار الطب بناها السلطان سلیمان القانوني عام 963هـ/1555م، وتُعتبر أولى المدارس الطبيّة في تاريخ الأتراك العثمانيين، وهي تشبه مدارس الطب التي أقامها المسلمون من قبل، وكان الهدف من وراء إقامة هذه المدرسة هو تنشئة الأطباء وإعداد أطباء ماهرين، وتضم إحدى عشر عاملاً منهم المدرس الذي يتقاضى أجراً يومياً قُدّر بـ 20 أقة⁽³⁷⁾ (7300 أقة في السنة)، وثمانية مساعدين آخرين كان أجر كل واحد منهم في اليوم أقتين بالإضافة إلى عمال آخرين تختلف مهامهم.⁽³⁸⁾

أما عن نظام التعليم المتبع في المدرسة الطبية السلیمانية، فلا توجد لدينا مصادر تبين بشكل كامل ما كان يُدرّس أو الوسائل التعليمية المعتمدة في المدرسة الطبية السلیمانية إلا أنهم -على الأرجح- كانوا يدرسون كتب الطب المؤلفة من قبل مثل كتب ابن سينا، وأبي بكر الرازي، ومن العلوم التي كانوا يدرسونها علماً التشريح والجراحة، وكان القسم النظري من التعليم يتم في المدرسة أما القسم العملي فكان في دار الشفاء.⁽³⁹⁾ وعن أيام الدراسة وساعات التدريس في مدرسة الطب، فإن السلطان سلیمان القانوني قد نصّ على تدريس خمس دورات في اليوم على مدار أربعة أيام من الأسبوع، وهي يوم السبت والأحد والإثنين والأربعاء، على أساس أن الأيام المتبقية هي أيام عيد عند العثمانيين، ويذكر المؤرخ التركي أكمل الدين إحسان أوغلي أنه من المحتمل أن تكون الأيام الثلاثة المتبقية يوم مخصّص للراحة ويومان للتدريب في دار الشفاء، وأعلى رتبة يحصل عليها الطلاب المتخرجون من مدرسة الطب هي مدرسون أو قضاة، وكان لهم الحق في الترقّي في المناصب السياسية في الدولة

ومشيخة الإسلام مثل منصب الصدارة العظمى، كما يستطيعون الوصول إلى رتبة حكيمباشي في السراي، وقد كانت هذه المدرسة على قدر عالٍ من التطور، واستمرت في عملها مدة ثلاثة قرون، وما تزال قائمة إلى اليوم، وهي مخصصة لتوليد النساء.⁽⁴⁰⁾

جديرٌ بالذكر أنَّ الأطباء بالدولة العثمانية كانوا على صنفين: أطباء خواص بالسلطين وعائلاتهم، وأطباء لعامة الناس، وكان أطباء العوام منتشرين في كافة أرجاء الدولة العثمانية، ويقومون بمعالجة ومداواة الناس في البيمارستانات، أما أطباء الخاصة السلطانية فكانوا يمثلون منصب رئاسة الأطباء، ولقد ظهر هذا المنصب منذ عهد السلطان أورخان 725-764هـ/1281-1324م ولم يطلق عليهم اسم «حكيمباشي»⁽⁴¹⁾ بل بأطباء السلطان، وأول حكيمباشي تولّى إدارة الشؤون الصحية هو إزميرلي محمد محي الدين أفندي 910هـ/1504-1505م)، وكان ذلك أيام السلطان بايزيد الثاني.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

1. كان موقف العثمانيين أكثر إنسانية نحو المرضى العقليين، ممّا أحدث شيئاً من التأثير على نظرة دول أوروبا الغربية تجاه المرضى العقليين.
2. لم يكتفِ المسلمون بما يمكن وصفه بـ«الطب البواتي»، وإنما استغلوا ما ورثوا من كتب أطباء الحضارات السابقة، ليطوروا ويصححوا ويضيفوا لتلك الكتب، وليؤسسوا منظومات صحية قوية، في حواضرهم وكبرى مدنها.
3. لقي المرضى النفسيون في أوروبا في العصور الوسطى معاملة سيئة وقاسية؛ حيث كان الأطباء يعتقدون أنّ ربط المرضى بالسلاسل، وتعريضهم للضرب، وحمامات من الماء البارد والساخن... إلخ، يشكل أسلوباً فاعلاً في العلاج يساعد هؤلاء المساكين على التخلص من مرضهم.
4. اهتمّت الدولة العثمانية حقاً بعلوم الطب، وليس كما يدّعى بعض المؤرخين، ويظهر هذا الاهتمام بشكل واضح في ثلاث نقاط أساسية هي:
 - دور الشفاء التي أقامها العثمانيون في إسطنبول وفي الولايات العربية.
 - مهارة الأطباء العثمانيين، وتفننهم في التطبيب.
 - الموروث الثقافي الطبي الذي يعود إلى الفترة محل الدراسة.

المصادر والمراجع:

- (1) أوغلي، كمل الدين إحسان. 1999م. الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ج2، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول.
- (2) بركات، مصطفى. 2000م. الألقاب والوظائف العثمانية 1518-1924م، د ط، دار غريب، القاهرة.
- (3) بنديك، إشتيفان. 1975م. الإنسان والجنون، تقديم: أحمد عكاشة، ترجمة وتحقيق: قدرى حفني-لطفى فطيم- أحمد عكاشة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1. جلال، محمد فؤاد. 2020م. مبادئ التحليل النفسي، وكالة الصحافة العربية.
- (4) الخطيب، مصطفى عبد الكريم. 1996م. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (5) خياط، مصطفى. (د.ت). الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، د.ط، منشورات anep، الجزائر.
- (6) رضوان، سامر جميل. 2000م. الصحة النفسية، دار المسيرة، عمان، الأردن.
- (7) سعد الله، أبو القاسم. 1998م. تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي.
- (8) صالح، عبد المحسن. 1998م. الإنسان الحائر بين العلم و الخرافة، مج 235 من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- (9) الصلابي، علي محمد. 2001م. فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، د ط، دار الإيمان، الإسكندرية.
- (10) مهدي، محمد عبد الفتاح. 1990م. العلاج النفسي في ضوء الإسلام، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع.
- (11) موسى، محمد الشريف سيدي. (2000-2001م). الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر للهجري (13-16م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، إشراف: عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر.
- (12) المومني، محمد علي. 2013م. دوافع السلوك الإنساني، دار الكتاب الثقافي.
- (13) هونكة، زيغريد. 1982م. شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، مراجعة: هارون عيسى الخوري، ط7، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- (14) يلماز، أوزتونا. 1990م. تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة: محمود الأنصاري، ج2، د ط، شركة الهلال والمساهمة، إسطنبول.

المراجع الأجنبية:

- (1) Ammalina dalillaah mohd lsa, Impact of ottoman scientific(2) advancement in the era of sultan muhammed al-fatih , in the : Mediterranean journal of social sciences, vol :05, N : 29, Italy, 2014
- (2) Foschi, Renato; Cicciola, Elisabetta (2006), "Politics and naturalism in the 20th century psychology of Alfred Binet.", History of psychology 9 (4): 267-89, 2006 Nov, doi:10.1037-1093/4510.9.4.267, PMID 17333631
- (3) Henke KD (May 2007). "[External and internal financing in health care]". Med. Klin. (Munich) 102 (5): 366-72. doi:10.1007/s000630-1045-007-. PMID 17497087.
- (4) Kirkman-Liff BL (1990). "Physician Payment and Cost-Containment Strategies in West Germany: Suggestions for Medicare Reform". Journal of Health Care Politics, Policy and Law (Duke University). 15 (1): 69-99. doi:10.121569-1-15-03616878/. PMID 2108202.
- (5) Staum, Martin S (2007), "Ribot, Binet, and the emergence from the anthropological shadow.", Journal of the history of the behavioral sciences 43 (1): 1-18, doi:10.1002/jhbs.20206, PMID 17205542
- (6) World Health Organization. The British Medical Journal. BMJ Publishing Group. 2 (4570): 302-303. 7 August 1948. doi:10.1136/bmj.2.4570.302. JSTOR 25364565.

المجلات والدوريات العلمية:

- (1) عامر، محمود: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع: 117 118-، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 2012م
- (2) مجلة الصحة النفسية: الجمعية المصرية للصحة العقلية، 1972م، جامعة إنديانا، 2 حزيران (يونيو) 2011م.
- (3) مجلة الوعي الإسلامي: المجلد 36، العدد 409 - المجلد 37، العدد 414، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000م، جامعة تكساس.

المواقع الإلكترونية:

- (1) سليم، باسمه نعيم: إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي، بتاريخ: 2019-01-28، جريدة دنيا الوطن الإلكترونية، تمّ استرجاعه من: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/483768.html> (2)
- (3) الشبكة العربية للعلوم النفسية، المصدر: المركز الرقمي للعلوم النفسية www.DCpsy.com.

المصادر والمراجع:

- (1) مجلة الصحة النفسية: الجمعية المصرية للصحة العقلية، 1972م، جامعة إنديانا، 2 حزيران (يونيو) 2011م، ص: 50-55. عبد الناصر كعدان . ميس قطايه : العلاج بالموسيقى في الوطن العربي، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ص1-3 .
- (2) فيليب بينيل 1158-1242هـ / 1745-1826م Philippe Pinel طبيب فرنسي يعتبر من أبرز رواد الطب النفسي، وله الفضل الأول في تغيير النظرة للمريض عقلياً، وتغيير أحوال وأوضاع المستشفيات العقلية، ومعاملة المرضى العقلين على أساس إنساني وعلمي، وقد كان والده وجده طبيبين، وكان شغوفاً بالدراسات الإنسانية، وشديد الحب لأمه، فلما توفيت وكان وقتها في الخامسة عشرة من عمره رغب في أن يصبح راهباً، إلا أنه قرأ للوك وكونديال وفولتير وروسو فأحب أن يكون مثلهم، ودرس الطب، وتأثر بمبادئ الثورة الفرنسية، وتلك إذن هي مصادر الاتجاه الإنساني عنده، وعندما عين بمستشفى بيستير للأمراض العقلية على مشارف باريس هالته الحالة السيئة التي عليها، وكان يسجل خواطره، ومن ذلك قوله (كان المرضى يعاملون كمجرمين، وكانوا محل فرجة من الزوار نظير رسم دخول، ويقيدون بالسلاسل، ويوضعون في حجرات أشبه بالزنازين). وطالب بإصلاح الوضع، وكتب كثيراً للمسؤولين ولأعضاء الثورة، يذكرهم بشعار الثورة الحرة للجميع، والمساواة بين الناس في الحقوق، ولم يتيسر له تحقيق أحلامه إلا عندما رُقي إلى وظيفة كبير أطباء المستشفى، فأمر بفك أغلال المرضى، وكان منهم أناس ظلوا مقيدين لثلاثين وأربعين سنة، وكاد الغوغاء الذين لم يفهموا إصلاحاته يشنقونه بعد محكمة صورية، لولا أن مريضاً ممن فك أسره خُلفه منهم، وعندما نقل إلى مستشفى سالبترير سنة 121هـ / 1795م كان عليه أن يبدأ من جديد، فنقل المرضى واستقدم آخرين اختارهم بنفسه وحاضرهم ودرّبهم لهذه المهمة، وأعاد تأثيث حجرات المرضى وطلاءها، وألغى الأغلال تماماً، وأدّت به بحوثه ودراساته إلى كتابة (التصنيف الفلسفي للأمراض العقلية Nosographie Philosophique) فأشادت به الدوائر الطبية وكافأته عليه، وقد قسم فيه الأمراض العقلية إلى هوس وكآبة وخبل وعته، وله أيضاً (الرسالة الطبية الفلسفية عن الاغتراب العقلي Le Traité Médico- philosophique sur L'Alienation Mentale) (1801) وهو كتابه الرئيس الذي تأسست عليه شهرته، ويشرح فيه منهجه النفسي الذي تقوم عليه طريقته، ويعدّ هذا الكتاب من

- المراجع الكلاسيكية في الطب النفسي، والاغتراب المقصود في العنوان معناه الجنون، وبسبب هذا الكتاب صارت فرنسا رائدة التنوير في علاج المرضى العقليين. وطريقته كما يشرحها تتلخص في التعامل مع المريض العقلي كإنسان مريض فعلاً، ومرضه عقلي أي أنه يتطلب التحدث إليه بشكل معين، واختيار العبارات المناسبة، والاستماع إليه كثيراً، وتشجيعه، وتهنئته كلما فعل أو قال شيئاً جيداً وكأن المبادرة منه هو. وكان يطلب من معاونيه أن يحاولوا أن يتفهموا حاجات المرضى، وشدد على إلغاء العنف معهم، ومعاملتهم المعاملة الكريمة الرقيقة الحانية، واستبدال السترة مكان الأغلال، وقضى بأن يكون استخدامهم مؤقتاً، وغير من النظم الإدارية، ووزع المرضى على أجنحة بحسب حالاتهم، وحث المسؤولين على أن يكون مدير المستشفى العقلي من الأطباء، واستحدث التنوع في العلاج== بحسب تشخيص المرض، وأدخل العلاج باللعب، والعلاج بالموسيقى، ورفض مطلقاً استخدام الفصد والحمام البارد المبالغ، ونصح بالعلاج بالحمام الدافئ قبل النوم، وقال بالعلاج بالعمل، وأنشأ لذلك ورشاً ألحقها بالمستشفى، وخصص للمرضى أجوراً على إنتاجهم، كما ألحق بالمستشفى مزرعة صغيرة يعمل فيها المرضى الناقهون، وقال بضرورة إنشاء مؤسسات إيواء للناقهين، بعد المستشفى، لإعدادهم وتأهيلهم لمعيشة الناس في الخارج، و مع الأسف توقفت كل هذه الإصلاحات بعد وفاته، ربما بسبب النكسة السياسية والعسكرية التي عاشتها فرنسا في الحروب النابليونية، ولم يتسنَّ لهذه= الإصلاحات أن تتحقق بشكل كامل إلا حديثاً، الشبكة العربية للعلوم النفسية المصدر: المركز الرقمي للعلوم النفسية www.DCpsy.com.
- (3) بنديك إشتيفان: الإنسان والجنون، تقديم: أحمد عكاشة، ترجمة وتحقيق: قدري حفني-لطفى فطيم- أحمد عكاشة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1975م، ص: 175 وما بعدها.
- (4) انظر: عبد المحسن صالح: الإنسان الحائر بين العلم و الخرافة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون و الآداب، 1998م، ص: 95 وما بعدها.
- (5) 5 - انظر: مجلة الوعي الاسلامي - المجلد 36، العدد 409 - المجلد 37، العدد 414، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000م، جامعة تكساس، ص: 75 وما بعده.
- (6) Kirkman-Liff BL (1990). "Physician Payment and Cost-Containment Strategies in West Germany: Suggestions for Medicare Reform". Journal

- of Health Care Politics, Policy and Law (Duke University). 15 (1): 69–99. doi:10.121569-1-15-03616878/. PMID 2108202.
- (7) Henke KD (May 2007). “[External and internal financing in health care]”. Med. Klin. (Munich) 102 (5): 366–72. doi:10.1007/s000630-1045-007-. PMID 17497087.
- (8) سامر جميل رضوان : الصحة النفسية، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2000م، ص: 25 وما بعدها.
- (9) المرجع السابق، ص: 26 وما بعدها.
- (10) Foschi, Renato; Cicciola, Elisabetta (2006), “Politics and naturalism in the 20th century psychology of Alfred Binet.”, History of psychology 9 (4): 267–89, 2006 Nov, doi:10.1037-1093/4510.9.4.267, PMID 17333631
- (11) Staum, Martin S (2007), “Ribot, Binet, and the emergence from the anthropological shadow.”, Journal of the history of the behavioral sciences 43 18, doi:10.1002/jhbs.20206, PMID 17205542
- (12) “World Health Organization”. The British Medical Journal. BMJ Publishing Group. 2 (4570): 302–303. 7 August 1948.
- (13) doi:10.1136/bmj.2.4570.302. JSTOR 25364565.
- (14) محمد علي المؤمني: دوافع السلوك الإنساني، دار الكتاب الثقافي، 2013م، ص: 90 وما بعدها.
- (15) محمد فؤاد جلال: مبادئ التحليل النفسي، وكالة الصحافة العربية، 2020، ص: 20 وما بعدها.
- (16) إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي بقلم: أباسمة نعيم سليم، تاريخ النشر : 28-01-2019، جريدة دنيا الوطن الإلكترونية، تم استرجاعه من: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/483768.html>
- (17) محمد عبد الفتاح مهدي: العلاج النفسي في ضوء الإسلام، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، 1990م، ص: 17 وما بعدها.
- (18) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة: محمود الأنصاري، ج2، د ط، شركة الهلال والمساهمة، اسطنبول، 1990م، ص: 532.
- (20) اليمارستان هو لفظ فارسي ذو مقطعين المقطع الأول وهو « بيمار » ويعني « المريض » والمقطع الثاني وهو « ستان » ويعني المكان أو الدار،

وبهذا يكون معنى البيمارستان هو مكان المريض أو موضع المريض، ويسمى بالمستشفى في الوقت الحالي، للمزيد انظر: موسى، محمد الشريف سيدي: الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر للهجري (13-16م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، إشراف: عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص: 216.

(21) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ج2، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999م، ص: 341 وما بعدها.

(22) يلمازا أوزتونا: مرجع سابق، ج2، ص533.

(23) أوغلي، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ج2، ص: 343.

(24) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص: 410.

(25) يلمازا أوزتونا: مرجع سابق، ج2، ص523.

(26) زيفريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، مراجعة: هارون عيسى الخوري، ط7، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ص: 255.

(27) يلمازا أوزتونا: مرجع سابق، ج2، ص534.

(28) لويس باستور: عالم كيميائي فرنسي وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطلب، ويعرف بدوره البارز في بحث أسباب علاج الأمراض وساهمت اكتشافاته في تخفيض معدل الوفيات في الجرثومية، وله اختراع سمي بإسمه.

(29) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج2، ص: 569.

(30) أوغلي، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ج2، ص: 483-484.

(31) Ammalina dalillaah mohd lsa , Impact of ottoman scientific advancement in the era of sultan muhammed al-fatih , in the : Mediterranean journal of social sciences, vol :05, N : 29, Italy, 2014, p 83.

(32) 29 - أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ج4، ص: 494.

(33) 30 - يطلق لفظ كحال على طبيب العيون عند العثمانيين، ويُسمى الذي يتعاطى هذه المهنة بالكالباشي، للمزيد أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، ص: 322.

- (34) محمد علي محمد الصلابي : فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، د ط، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م، ص: 184.
- (35) أوغلي، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ج2، ص: 485.
- (36) أوغلي، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ج2، ص: 487-486.
- (37) المرجع السابق، ص: 487.
- (38) مصطفى خياط : الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، د ط ، منشورات anep، الجزائر، د.ت، ص: 67.
- (39) أوغلي، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ج2، ص: 486-485.
- (40) هي عملة عثمانية فضية، أول من سكّها هو السلطان أورخان في سنة 1327م، وكل مئة درهم منها يساوي أربعة وثمانوي درهماً من الفضة الخالصة، للمزيد انظر: محمود عامر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع: 117 118-، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 2012م، ص: 362، وانظر أيضاً: مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية 1518-1924م، د ط، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص: 106 .
- (41) أوغلي، الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ج2، ص: 488.
- (42) مرجع سابق، ج2، ص: 489.
- (43) المرجع سابق، ص: 489-490.
- (44) حكيمباشي : هو لفظ مركب من جزئين، الجزء الأول «حكيم» وهو لفظ عربي، أم الجزء الثاني «باشي» وهو لفظ تركي، ويعني -في مجمله- رئيس الأطباء، ويعتبر لقب الحكيمباشي من الألقاب التشريفية، وقد استخدم العثمانيون الأتراك هذا اللفظ وأطلقوه على الطبيب، للمزيد انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص: 147.